مِنْ أشكال الحجاج في شعر جميل صدقي الزهاوي

بحث مقدم من طالب ماجستير

علي صكبان سنيح

الأستاذ الدكتور

محمد السّيد الدسوقي

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي

كلية الآداب – جامعة طنطا

الملخص:

يزخر شعر جميل صدقي الزهاوي بأنواع مختلفة من الحجج ؛ فقد رصدنا حجج شبه منطقية احتفظت بالقدرة على الإقناع، كما رصدنا حجج أخرى مؤسسة على بنية الواقع ؛ فاتسمت الحجة الواقعية، واتخذت بعدا توضيحاً، رصدنا كذلك حجج تبين الواقع، وبصورة عامة الشعر بوصفه يكثف المعان، يمكن تناوله من وجهات متعددة، إن تنوع الحجج في شعره كدليلُ واضح، وبرهان ساطع على إمكانية توظيف الحجاج في شعره، وطرح قضايا فنه الشعري، ومن خلال الوقوف على صور الحجاج اللغوي يمكن فهم مقاصد الخطاب الشعري عند الزهاوي، وكيف استعانه بآليات الحجاج وتعد من نجاح عملية التواصل والإقناع ، ومن ثم نجاح المرسلة اللغوية بمضامينها.

توطئة:

يتسم مجال الحجاج بأنه نسبي ومحتمل، فلا يكون النقاش إلا في موضع الشك، وقد يبدأ المحتج بمقدمات متفق عليها، ولكنها ليست بالضرورة صادقة لتقصي إلى نتائج ملزمة؛ بل هي ممكنة الوقوع لذلك يمكن للشاعر أن ينطلق من وقائع مواضع تشكل محل اتفاق مبدئي.

بطبيعة الحال الحجج تشكل هيكل الحجاج في الخطاب الشعري وعند الزهاوي خصوصا، وهذا البناء يكون على شكل جمل من مقدمات تتمثل في حجج مبنية على الوقائع أو حجج مبنية على احداث نجدها عند الشاعر بدقة لأقناع المتلقي، ويحدد الشاعر دلالات معينة في شعره فيوسعها أو يضيقها حسب طبيعة القصيدة، وسنحاول التسليط الضوء عليها.

أولاً: التعريف بالشاعر:

أتفق كثير من المؤرخين على أن الشاعر اسمه، جميل صدقي محمد فيضي أحمد بابان الزهاوي، و(زهاو): إمارة مستقلة، وهي من أعمال إيران لذا نسب إليها فقد هاجر ابوه إليها، و أشتهر بها [١]، وقيل إن الزهاوي :"ينتمي لأسرة بابان الكردية التي كان بعض رجالها أمراء السليمانية، فهو من أصل كردي"[٢].

أختلف المؤرخون في تاريخ ميلاد جميل صدقي الزهاوي، فذكر بعضهم أن مولده في بغداد التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ألف ومئتين وتسع وسبعين هجرية، الذي يوافق الثامن عشر من يونيو سنة ألف وثمانمائة وثلاث وستين ميلادية[٣].

ونلاحظ مما ذكروا غير هذا التاريخ (محمد صبري السوربوني ت١٩٧٨م)فقد ذهب إلى أن جميل صدقي ولد في بغداد سنة ألف ومئتين وواحد وثمانين هجرية، المصادف سنة ألف وثمانمائة وخمس وستين ميلادية، إن هذا الاختلاف طبيعي، ذلك أن الزهاوي ولد في زمن لم تكن الناس ولا الحكومات قد أوجدت، وأوجبت تسجيل المواليد، والوفيات بصورتها الدقيقة[٤].

---

[١] ينظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم، ط١٦، ٢٠٠٥م،ص:١٧٣.

[٢] معجم المؤلفين تراجم مصطفى الكتب العربية، عمر رضا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص:٥٠٥.

[٣] ينظر: الزهاوي وديوانه المفقود، هلال ناجي دار العرب للبستاني، مطبعة نهضة مصر، ص: ٢١. وانظر:، معجم المؤلفين، ص:٥٠٥.

[٤] ينظر :المرجع السابق: ٢٢.

نشأ الزهاوي في كنف أسرته ببغداد، ولكن سرعان ما تفككت الرابطة الأسرية، ولم تستمر طويلاً، فقد دب الخلاف بين الزوجين، واستحالت الحياة بينهما، لأن الزوجة كانت عصبية المزاج، ثم اتفقا على الفراق، أخذ والده على عاتقه أن يربيه تربية خاصة، متبعاً هواه وكان هواه الأدب، وكان شاعراً في الفارسية والعربية معاً[١]، ونلاحظ الزهاوي قد خط طريقة بنفسه .

بعض المصادر التي بين أيدينا تحدث عبد الحميد الرشودي في كتاب (الزهاوي دراسات ونصوص) حيث تحدث عن الزهاوي في مرحلة الشباب وقال: ليس له غير زوجة واحدة، وليس له أولاد، وعند حديثه عن أخوته : فله ثلاثة أخوان هم : (عبد الغني)، وقد مات شاباً، و(أمجد)، كان صوفياً وكان يعقد مجالس لرجال الدين الصوفيين، و(رشيد)، كان من باشوات بغداد[٢].

عند الحديث حول ثقافته الزهاوي كان عنده إلمام واسع بالنظريات العلمية، والرياضية، والفلسفية، كالجاذبية، والنشوء و الارتقاء ... ومن خلال أشعاره تتكشف ثقافة الزهاوي اللغوية، وتدل هذه الأشعار الجادة على استيعابه لقدر من الشعر العربي القديم والمعرفة باللغة، وأسرار النظم.

كان ينظم الشعر بالعربية والفارسية في بداية حياته وعمل في مناصب مختلفة :فكان من أعضاء مجلس المعارف ببغداد ومن أعضاء محكمة الاستئناف ،وعمل أستاذًا للفلسفة في المدرسة الملكية في استانه، وأستاذًا للأدب العربي في دار الفنون، وعمل نائبًا في مجلس النواب العثماني .

ثانياً: مفهوم الحجاج:

تطورت الدراسات المعاصرة ، كان من نتاجها بروز إعادة قرأة البلاغة العربية في ضوء ما يُسمى بالبلاغة جديدة التي تمظهرت في ما يسمى بالنظرية الحجاجية، التي يعود الاهتمام بها إلى "بيرلمان " و"تيتكا" سنة ١٩٥٨م من خلال ظهور أول مصنف في الحجاج، وما يهمنا في هذا الدراسة هي آليات الحجاج، ولكن سنتحدث بإيجاز عن جذور النظرية الحجاجية، أتخذ مفهوم الحجاج عند العرب معنى الجدل والخصام ؛ ففي المعنى اللغوي للحجاج نجده في "لسان العرب" أن" الحجة : البرهان، وقيل الحجة ما دُفع به الخصم، وقال الأزهري :الحجة وجه الظفر عند الخصومة، ورجل محجاج أي محجاج أي جدل والتحاج :التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج وحاجه ومحاجّة

[١] ينظر: الزهاوي وديوانه المفقود: ٢٥.
[٢] ينظر: الزهاوي دراسات ونصوص، عبد الحميد الرشودي، مطبعة ثائر جعفر للطباعة الفنية الحديثة، بيروت،ج١، ٢٠١٢م، ص:٤٢.

وحجاجاً: نازعه بالحجة، وحجّه يحجّه حجاً :غلبه على حجته ... والحجّة :الدليل والبرهان "[١] وفي معجم العين نجد المعنى نفسه في "الحجة: وجه الظفر عند الخصومة"[٢].

كما ورد في القرآن الكريم الفعل : حاجّ وتحاجّون...مثل قوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ...)[٣] لتدل على دخولهما –إبراهيم ونمرود –في جدل وخصام، وفي تفسير هذه الآية الكريمة "(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ)جادل (إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)[٤]وفي تفسير" ابن كثير "(أَلَمْ تَرَ) أي بقلبك يا محمد (إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)أي وجود الله، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إلهٌ غير...وكان طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه ..."[٥].

فنجد مصطلح "الحجاج" في معناه اللغوي لم يخرج عن دائرة الخصام والإنكار وطلب الدليل و الادعاء.

وفي الدراسات اللسانية الحديثة تُرجم مصطلح "Argumentation" ب "الحجاج" الذي يقصد به "سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة "[٦]وهذه الحجج يقصد بها تلك الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه والحضة Autorite هي الدليل الإثبات.

نجد في قاموس le grand Robert مصطلح Argumentation هو "فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة والفعل حاججargumenter هو الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج"[٧] بمعنى اتباع طريقة معينة في تقديم هذه الحجج لتحقيق أقناع المخاطب.

مجال الحجاج هو المتنازع عليه والمختلف فيه فهو يبحث فيما هو نسبي محتمل، ويقوم على تبريرات عقلية فالحجاج " إجراء يسلكه الفرد أو المجموعة

---

[١]لسان العرب،ابن منظور،دار الصادر بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٠م،مادة حجج،مجلد الثاني،ص :٢٢٨.

[٢]كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد الهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣م،باب الحاء،المجلد الاول،ص: ٢٨٩.

[٣]سورة البقرة،آية٢٥٨.

[٤]تفسير الإمامين الجليلين للقران الكريم، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي،حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب الجزائر،ص: ٣٧.

[٥]تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،كتب هوامشه وضبطه حسين إبراهيم زهران، دار الفكر،بيروت، لبنان، الجزء الاول، ٢٠٠٦م، ص:٢٦٧.

[٦]النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية،محمد طروس،دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى،٢٠٠٥ م، ص:٨.

[7]VOir :le grand Robert :Dictionnaire de langue francaise .1,paris,1989,p,535.

لدفع المستمع إلى تبنّي موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج"[١]فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطبه ويكون بذلك " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها"[٢].

فموضوع الحجاج له جذور تعود به إلى البلاغة اليونانية القديمة ؛ حيث كان أرسطو من اوائل الذين أشاروا إلى ارتباط الحجاج بأطروحة معينة يدافع عنها صاحبها بأفكار قد تكون مقبولة لا أكثر، وحسب الاستدلال الجدلي تكون النتيجة محتملة بشرط كاف[٣]، فقد أولى ارسطو دوراً هاماً للبلاغة كونها وسيلة الإقناع، وجعل الحجاج بؤرة الخطاب وربط بينه وبين الجدل وأكد العلاقة بينهما ، باعتبار أن الحجاج : " هو سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو طريقة التي تطرح بها الأدلة "[٤] فالحجاج الجدلي في هذا المنظور يرتكز على العقل، ويكون بين شخصين، يحاول كل منهما إقناع الآخر برأيه ومجموع الأدلة والحجج التي يقدمها المتكلم في حديثه للتأثير في أفكار السامع ومعتقدات.

ويسعى المتكلّم من خلال الحجاج الى تحقيق الإقناع و التأثر بوصفهما أهم غرضين للحجاج، وأن كان المتكلم ينتزع موافقة المتلقي أو يقنعه فإنه يقوم بذلك، لكن بعيداً عن العنف والإكراه، ولا يعبر عن نتائجه بالصحة أو لخطأ؛ بل بالقوة والضعف في التأثر، فمعيار الصحة هو قوة الإقناع، كما تتعدد مظاهر الحجاج فقد يقدم المتكلم حججه بشكل مباشر وصريح في كلامه بعرض مقدمة والنتائج التي تؤدي إليها، كما قد يضمر الحجج ويقود متلقيه إلى النتائج بالتلميح دون التصريح .

ثالثا: أشكال الحجاج في شعر الزهاوي الجانب التطبيقي. وتنقسم هذه الأشكال إلى:

أ- تقنيات الحجج شبه المنطقية :

تتصف هذه الحجج بكونها مشابهة للمنطقية ؛ فتكون ذات درجات حجاجية بالمستوى القوي أو الضعيف، فيقول "بيرلمان" عن هذه الحجج: " إنها حجج تدعي قدراً من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية، فإنَّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات

---

[١]النظرية الحجاجية -، محمد طروس، ص:٨.

[٢]اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى ١٩٩٨م، ص٣٠.

[٣]ينظر موسوعة ويكليبديا في قسمها العربي،:أيوب المرين :
www.okham.net\frum\archive\index.php?

[٤]ينظر: موسوعة ويكليبديا في قسمها العربي،:أيوب المرين :
ص: ١٨.?www.okham.net\frum\archive\index.php

بين هذه الحجج والبرهان الشكلية"[١].وهذا يعني أن الحجج شبه المنطقية تستند إلى مبدأ منطقي؛ كالتطابق أو التعدية أو التناقض، وتتراكم الحجج الموافقة لتقويتها لتصبح شبيهة بالاستدلال المنطقي.

وتضم الحجج شبه المنطقية الآتي:

١-التناقض وعدم التناسب :

وهي أن يقوم المخاطب في الجمع بين معنيين أو حكمين أو قضيتين متعارضتين في خطابه، بهدف أثبات حكم وإقصاء آخر ليقنع المتلقي بالحكم المثبت، وعادة ما يكون إقصاء الحكم بالسخرية[٢]، والتناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكل، والتناقض" اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب، على وجه يلزم من صدق أحدهما لذاته وكذب الأخرى، كقولنا: زيد إنسان وزيد ليس بإنسان، ولا بد في ذلك من اتحاد جهة الإيجاب والسلب، بأن يكون السلب من جهة ما لا يكون الإيجاب وبالعكس"[٣]، قد يأتي المحتج بقضية فيؤكدها ثم يأتي بنقيضها، حيث يلجأ إلى الدفاع عن أطروحته مبينا أنها تتعارض مع أخرى ؛ كأن يؤكد جميل صدقي الزاوي في رثاء أحمد زكي باشا على القوة والشجاعة فيقول الشاعر: "بحر الكامل"

بالأمس سيف الحق كان مجرداً* واليوم سيف الحق غير مجرد[٤]

يبين الشاعر موقف مناقض فهو بروز سيف الحق والقوة والشجاعة بارزة عند احمد زكي باشا وفي عجز البيت يبين قضية ضمنية هو موت الشاعر يؤدي عدم بروز سيف الحق، ويرصد الشاعر قضية زواج القاصرات من الفتيات إلى شيخ كبير بالسن فيقول: "بحر البسيط"

كم قد تزوج ذو الستين يافعةً* والشيب في رأسه كالنار يشتعلُ
يقضي لبانته منها إلى أجل* وقد يكون قصيراً ذلك الأجلُ
يسبها لا لذنب ثم يركلها* بالرجل منه مهيناً وهي تحتملُ[٥]

---

[١]الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي،، ص:١٩١.
[٢]ينظر: خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الادبي،عباس حشاني،، عالم الكتب الحديثة، الاردن، ط١، ٢٠١٤م،ص:٨٥
[٣]المصطلح الفلسفي عند العرب،عبد الأمير الاعسم،، منشورات مكتبة الفكر العربي، بغداد، ط١، ١٩٨٥م، ص:٣٢٨.
[٤]ديوان الزهاوي،، عبد الرزاق الهلالي، مطبعة دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.،ص:٦٨٣.
[٥]الديوان،٤٩٣.

وتتولد الحجة من رحم التناقض بين الرؤى والمواقف حين ينصح الشاعر بعدم الزواج من فتاة صغيرة من قبل رجل كبير في الوقت الذي يعترف هو فيه ويقول " قد تزوجت من سن الثلاثين بالآنسة زكية هانم وعمرها يومئذ ١٦ سنة"[١]فنلاحظ هذا التناقض الحاصل في شعره .

٢-التماثل والحد في الحجاج:

فمعنى التماثل والحَدَ من خلال معجم الوسيط فالتماثل هو الشيئان تشابها، والعليل من علته قارب البُرء فصار أشبه بصحيح كأنه هم بالنهوض والانتصاب، والحد هو الحاجز بين شيئين، ومنهى الشيء، والدفع والمنع، والحَدَ، قد يكون للكلمة نفسها تحديدات متنوعة[٢]، فتكون الحجة في تحديد وضبط المفهوم للمصطلح ذلك أن "الألفاظ المرتبطة بعلاقة ما توجد في حال تفاعل دائم ليس فقط مع مجموعة من الألفاظ من نفس اللغة أو اللغات الأخرى التي يمكن أن ترتبط بالأولى ولكن يمكن أن ترتبط مع مجموع التحديات الممكنة الأخرى لنفس الألفاظ او المصطلح، وهذه التفاعلات لا يمكن إلغاؤها ؛ بل إنها أساسية على وجه العموم لكي يكون الحجاج فعالاً"[٣]ويمكن أنَّ يكون التحديد عبارة دورية كأن نقول (المال هو المال) أو (الدنيا هي الدنيا)؛ فهذا التحديد يفتقد إلى حجة منطقية صارمة، لكن يفهم معناه حتى وإن تكرار اللفظ، فمعنى الثاني يحيل إلى معنا أخر غير اللفظ الأول .

يقول الزهاوي: "بحر البسيط"

نزلت بوادي النيل انقع غلتي* فزال بماء النيل عن كبدي الحر

.....

ولو أن بغداد حراً أعزها* ولكنها بغداد ليس بها حر[٤]

يبين الشاعر حالة التعب الشديد الذي رافقه في الطريق وعند الوصول إلى مصر وشرابه من النيل إزال الحر الشديد من داخله، ويصور الشاعر حالت بغداد لو أنَّ حراً أبي يديرها بصورة صحيحة بعيدة عن الظلم ولكن لا يوجد ببغداد هذ شخص الحر القادر على أدارة البلاد بصورة صحيحة والتماثل والحد هنا تفهم من سياق الكلام فالفظ الثاني(ليس بها حر) يحيل إلى معنى الأول(حراً أعزها).

[١]الزهاوي دراسات ونصوص، عبد الحميد الرشودي، ص٣٧١
[٢]معجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، مؤسسة دار الدعوة، أسطنبول، ج٦، ١٩٨٩م، ص: ٥٥٢.
[٣]الأستعارة في محطات يونانية عربية وغربية،محمد المولى،،دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٥م، ص:٣٧٨.
[٤]الديوان، ٣٨٠.

ب- تقنيات الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

حين ختم بيرلمان حديثه عن الحجج شبه المنطقية، من النادر أن تحقق الإقناع للمتلقي، بسسبب اعتمادها على ما هو صوري وما هو كمي في اغلب الاحيان، لذلك ينبغي أن تُستكمل بواسطة حجج آخرى مؤسسة على بنية الواقع [١]، وكانت الحجج شبه المنطقية تهدف إلى صحة ما يطرحه الخطاب، بفضل مالها من بعد عقلاني تستمد من علاقتها ببعض الصبغ المنطقية فأن الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم شبه المنطقية للربط بين أحكام مُسلم بها، [٢].وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مُسلماً بها، وكأن هذه الحجج متواشجة ومتصلة بالحجج شبه المنطقية، فهي بمثابة تعضيد لها وتعزيز لذلك المنطق الذي قامت عليه، فالمنطق لا يحقق توصيلاً وإقناعاً بمفردها ومن دون حجج اخرى تؤازره في مهمة إقناع المتلقي، تقوم هذه الحجج على علاقات تربط بين الأشياء، وهذه العلاقات ليست منطقية ؛ بل هي علاقة تفسير وتوضيح للواقع والأحداث، وتندرج ضمن هذه الفئة من الحجج العلاقات الكنائية والمجازية المرسلة[٣]، فعندما يقوم المتكلم بتفسير أحداث الواقع وتوضيحها تبدو أكثر إقناعاً ويكون خطابه أقدر على التأثير في المتلقي، ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع تضم:

١-وحدة الأتصال (التتابع):الحجة السببية وحجج أخرى:

وهي مجموعة من النتائج التي تحيل إلى علاقة سببية من أحداث متتابعة، ويمكننا التمثيل على الحجة السببية، قبل الخوض في حديث العلاقة السببية نتحدث عن علاقة التتابع ومن خلال هذه العلاقة تكون ذات طاقة حجاجية عالية، إذ يمكن أنَّ تحتج بتقرير تتابع مستمر في الأحداث، ونلاحظ التتابع في مستويين: مستوى الأحداث فتغرس الحجة في الواقع، ومستوى القضايا والأفكار فتنمي الحجة إلى المنطق.

فالواو تعمل على الوصل بين الأبيات المتتابعة أو الأحداث المتوالية في إطار الأبيات أو على مستوى البيت بقصد الإقناع المتلقي، عند تأمل دور الواو في أبيات الزهاوي في قصيدة " الغرب والشرق" يقول: "بحر البسيط"

قد طال للغرب فوق الارض سلطانا* وطال في الشرق اقرار واذعان
الغرب فيه نشاط خلف حاجته* يسعى ليبلغها والشرق كسلان

---

[١]ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان،د- الحسن بنو هاشم،، الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠١٤م،ص:٦٧
[٢]ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صوله،، ص: ٣٣١
[٣]ينظر: الأستعارة في محطات يونانية عربية وغربية،محمد المولى، ص:٣٨٥.

الغـرب مسـتلب والشـرق مهتضـم* والغـرب منتبـه والشـرق وسـنان
إن انقـض الغرب ظهـر الشـرق يرهقـه* فالـدهر والأرض والعـادات اعـوان
لا يحفـظ السـلم ابـرار ملائكـة* ويوقـد الحـرب أمـا شـاء شـيطان
وكـل شـعب علـى الاعـواد معتمـد* فحظـه فـي عـراك الـدهر خـذلان[١]

نشاهد حالة التتابع في قصيدة الزهاوي وقد عمل الرابط الواو الوصل بين الأبيات، وربط بين الأحداث ويبين تطور الغرب وهيمنته على الشرق، والشاعر يحاول غرس الأحداث وسردها بشكل واقعي وصريح ويعبر عن تتابع الموقف.

وعند الحديث حول العلاقة السببية الذي تعد من أبرز العلاقات الحجاجية تأثيراً في المتلقي، وهي ضرب من العلاقات الحجاجية التتابعية، اذ يحرص الزهاوي على ربط الأفكار والوصول بين اجزاء الجمل فيجعل بعض الأحداث سبباً لأحداث أخرى، فإذا بالسببية تجعل النص منطقي في ترابط أجزاءه وتناسق الأفكار[٢].

ويرى "بيرلمان أن الوصل السببي له ثلاث أضرب ويمر من اتجاهين من السبب إلى نتيجة، ومن النتيجة إلى السبب، والحجة القائمة على العلاقات السببية لا تقوم على تثمين حدث ما يذكر نتائجه . ويقول الزهاوي في قصيدة " مالها تحقيق" :

"بحر الكامل"

ابكـي ومثلـي بالبكـاء حقيـق* آمـال شـعب مالهـا تحقيـق
ولقـد يـذكرني بعـز آفـل* بـرق لـه خلـل السـحاب خفـوق
ضـيم العـراق فهـل قضـت ابنـاؤه* ام هـل لأبنـاء العـراق عقـوق
ولعـل ايـام السـلام قريبـة* ولعـل ايـام السـلام تـروق
حـب الـديار ومـن بهـا لـي مسـكر* وكأنمـا حـب الـديار رحيـق[٣]

يبين الشاعر في هذه القصيدة و يذكر العلاقة السببية الحجاجية ونلاحظ الجمال و الانسجام في القصيدة و الشاعر بدأ منفعلاً بالنتيجة قبل السبب أي ذكر البكاء والحزن الشديد الذي حل بالشاعر على حال الشعب وآمانيه الذي لا تتحقق.

---

[١] الديوان،٤٦٨
[٢] ينظر: نظرية الحجاج في اللغة،شكري المبخوت،، ٣٨٠
[٣] الديوان،٤٧٢

وتعد هذه العلاقة من أقوى العلاقات وأقدرها على ربط أجزاء الكلام لأنها تدخل ضمن ما يسمى بالسبل التفسيرية في الحجاج وهي تقنية تلفت انتباه وتستجلب الأصغاء وقد أطلق عليها البلاغيون حسن التفسير وحسن التعليل تارة أخرى[١]، وهناك بعض العلاقات منها علاقة "النعارض "وتقوم على عدم الاتفاق والتناقض بين الحجتين وتربط بينهما برابط هو(لكن –بل)علاقة "التساوق" ورابطها الأداة (حتى) وتعمل عكس ما سبقها وهي تربط بين حجتين متساوقتين أي تؤديان إلى نتيجة واحدة وتكمن الخاصية الأساسية للحجة التي ترد بعد " حتى " اقوى حجة يمكن أن تقدم لصالح النتيجة[٢]. يقول الزهاوي في قصيدة " انشطي وافيقي". "بحر الكامل"

أنا لست زنديقا ولا انا مارق* حتى يحل لظفركم تمزيقي[٣]

يذكر الزهاوي علاقة تساوقيه برابط "حتى" ويبين الوظيفة التعليلية أي أنَّ ما قبلها علة لما بعدها وهي مرادفة ل(كي) ي التعليلية[٤]، ونلاحظ الشاعر يذكر ماكنت زنديقاً ولا مارقاً ويأتي برابط حتى ويأتي بحجة اقوى يحل لظفركم تمزيقي والكلام بعد حتى يكون أقوى حجة.

٢-التعايش : حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله:

حجة التعايش هي علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله، وتتمثل حجة الذات في " تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقاً من الذات التي يعبر عنها أو يجليها ويوضحها"[٥] فيقول الزهاوي في قصيدة "نكبة اليابان":

"بحر الكامل"

هلعت قلوب القوم في اليابان* للبحر حين طغى والنيران
وكأن أسباب السماء تقطعت* وكأن قلب الأرض ذو خفقان
أرأيتما يا أيها القمران* في الحادثات كنكبة اليابان
نار وطوفان وزلزال معا* لم تبق من صرح ومن ايوان
الأرض تقصف كالمدافع تحتهم* والجو يلمع بالهيب القاني [٦]

---

[١]ينظر: أسرار البلاغة،الجرجاني،، تحقيق محمود شاكر، ٢٧٧
[٢]اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٨٨،٦٦
[٣]الديوان،٢٨٩
[٤]اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص:٧٥
[٥]الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه،سامية الدريدي،،ص: ٢٢٨
[٦]الديوان،١٦٠

يتحدث الشاعر عن حدث كبير، وهي نكبة اليابان وقد سلط الشاعر في بداية حديثة على قلوب الناس في اليابان ومن شدة الحرب، ونلاحظ توجههم نحو البحر من شدة النيران، ونلاحظ الأرض تقصف بالمدافع وكذلك من قبل الطائرات.

وتقوم حجة الشخص وأعماله على " مبدأ ثبات الشخصية بحيث إن قامت بفعل معين أو اتخذ موقفاً محددا، فلأنها عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد"[١] وبذلك يمكن لنا الاحتجاج لأمر ما اعتمادا على أن الشخص مسؤول عن أعماله وأن أفعاله ثابتة، يقول في قصيدة " هي الحقيقة" "بحر البسيط"

هي الحقيقة ارضاها وأن غضبوا* وادعيها وأن صاحوا وإن جلبوا
إن يقتلوني فكم من شاعر قتلوا* او ينكبوني فكم من عالم نكبوا
لهفي على أمة ما زلت ارشدها* إلى سبيل هداها وهي تجتنب[٢]

يتطرق الشاعر في هذه القصيدة بعد نكبته في الدفاع عن المرأة حينما دافع عنها ودعاها إلى السفور بمعناه الخاص وليس العام، فجاء له التهديد بالقتل والعنف فكان موقف الشاعر يمثل حجة الشخص ثابته ومعروفة عنه ولا يتنازل عنها وهو مسؤول حتى لو قتلوه فهو مستعد للموت.

وعندما يعتمد الحجاج على السلطة ؛ فإنه يعكس في الحقيقة حجاجين، وهذا ما أكده" موريس ساشو" ففي الحجاج" الأول يتساوى من يحتج، ومن يتلقى الحجاج في المكانة وفي الثاني تقام علاقة تراتبية بين الأثنين، في الأول تربط بين المتكلم والمتلقي علاقة ثقة متبادلة وبالتحديد من يحاول الإقناع، واستقلالية الآخر ويقدر قدرته على اكتشاف الحقيقة، وفي الثاني وعلى العكس من ذلك تربط بين الأثنين علاقة تبعية، فمن يتلقى الحجاج علية أن يحترم ما يقوله باسم السلطة "[٣]. فالسلطة التي يستعملها المتكلم تعينه على دعم رأيه لتكتمل حجاجه وتقوم بإثرائه.

وهناك وجه من وجوه حجة السلطة وهي سلطة الرمز ؛ والرمز يعبر عن انتماء الفرد إلى مجتمعة ؛ فقد يستعمل الشاعر أسماء أسطورية تواتر ذكرها بين الناس لخدمة حجة معينة كأن يقال" أول الشجرة بذرة "[٤]. "بحر الخفيف"

اوّل الحب في القلوب شرارةٌ* تخفي تارة وتظهر تارةْ

---

[١]الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه،سامية الدريدي، ص: ٢٢٩
[٢]الديوان، ٣١٦
[٣]الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه،سامية الدريدي،ص:٢٣٥
[٤]مجمع الأمثال،أبو الفضل الميداني،، مكتبة مشكاة الإسلامية،ج١، ص:٢٧٩
ْ - الديوان، ٤٦١

فأن كان يضرب المثل فبداية الشجرة بذرة ثم تكبر والشاعر يتناول هذا الشيء فيقول الحب مثل الشجرة يكون بدايتها شرارة وبذرة تم يرتقي بالكبر.

ج- تقنيات الحجج المبنية للواقع :

إذا كانت الحجج المؤسسة على بنية الواقع تكتفي بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة؛ الحجج المبنية للواقع تستند إلى الجمع بين احداث وأشياء مترابطة مكانياً أو زمانياً أو رمزياً، حيث نستدل على شيء آخر يربط به[١].وتضم الحجج المبنية للواقع:

١- الشاهد: وهو من الحجج المبنية للواقع والشاهد يشبه البنية التي تدعم القضية وتقويها، وهو يشمل القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأقوال المأثورة وأحاديث العلماء والحكماء والأمثال والحكم وما إلى ذلك من الأقوال التي تصلح للأستشهاد على فكرة أو رأي ما.

فالشاهد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضيح القول اذا الطابع العام، تقوي حضور هذا القول في الذهن وعلى هذا فإن الأستشهاد يؤتى به للتوضيح [٢]. وغالباً ما نلاحظ الشاهد في الديوان يذكر لاحقاً وذلك لتقوية الحجة والقاعدة حسية وملموسة؛ ونلاحظ الشاهد هو الربط بين المتفقات في الجنس، أما التشبيه فهو مقارنة بين المتباينات ويمكن للفكرة الخيالية أو الخرافية المجازية أن تضطلع بوظيفة إقناعيه" عندما نجردها من سياقها التاريخي والأصلي، إنها في حد ذاتها قابلة لوصمة الكذب ولكنه حينما تسلك في الشاهد ما تتغلب على فنائها لكي تكتسب شرعية جديدة بتحولها إلى البرهنة عليه بأية طريقة"[٣].

يعمل الشاهد على تقوية الحجة وتأكيدها، بجعل المعنوي في شكل ملموس، إنه يعمل " على تحريك المخيلة وتجسيد الفكرة باستحضارها في صورة شاخصة لا تكمن الغاية منه فقط في تعويض المجرد بالملموس... إنما تكمن أساساً في تقوية الفكرة وتأكيده حضورها في الذهن"[٤].و يستخدم الزهاوي لهذه الحجة بكثرة حيث تتداخل في ثنايا خطابه الحجاجي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها...وحضورها مبرر بقوّتها الإقناعية والتأثيرية وهذه

---

[١] ينظر: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية،محمد الولي،ص:٣٩٩

[٢] ينظر : الحجاج أطره ومنطلقاته،عبد الله صولة،ص:٣٣٧

[٣] مفاهيم بلاغية،محمد الولي، مجلة علامات، العدد ١٧، ص:٩٣

[٤] بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر أبن الرومي نموذجاً،إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، مكتبة الآداب القاهرة،ط١، ٢٠٠٧م، ص:١٤٣

القوة تستمد من قوة أصحابها الذين لهم سلطة على نفوس وسطوة على العقول والقلوب[١]، فكيف لا وكلام الله - سبحانه وتعالى – هو القول الحق الذي يُقنع كل معاند فما بالك بكل محاور، كذلك كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم)المؤيد بقوله تعالى(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[٢].وقد جسد الزهاوي ذلك في ديوانه:

"بحر الخفيف"

رب إن المنـــــــافقين ببغـــــــدا* د كثيـــر وقـــد أتـــوا أضـــرارا
رب إنـــي دعـــوت قـــومي لـــيلاً ثـــم إنـــي دعـــوت قـــومي نهـــارا
إن قـــومي قـــد أفســـدوا لا تـــذر ربـــي علـــى الأرض مـــنهم ديـــارا
إن تـــذرهم يـــا رب فـــي غـــيهم لا يلـــدوا إلا فـــاجراً كفـــارا
إنهـــم مـــن ضـــلالهم فـــي تبـــار لا تـــزدهم يـــا رب إلا تبـــارا[٣]

نلاحظ الشاعر يذكر شاهد في شعره من القران الكريم(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا)[٤] ومن خلال هذا الشاهد يقدم حجة أقوى ويحقق إقناعاً وتأثيراً أكبر في المتلقي بل وتغير اسرع.

٢-المثال: ويكمن دور المثال في توضيح الفكرة وتقويتها، خلافاً للشاهد الذي يؤسس القاعدة، يقول الزهاوي:

"بحر البسيط"

الفـــن روض انيـــق غيـــر مؤســـوم* وانـــت بلبلـــة يـــا ام كلثـــوم[٥]
لانـــت اقـــدر مـــن غنـــى بقافيـــة لحنـــاً يرجعـــه مـــن بعـــد تـــرنيم

نلاحظ الشاعر يبين (الفن روض انيق غير مؤسوم) بأن الفن هو جميل وانيق في كل شيء ويحاول الشاعر ضرب مثال لهذا الفن الجميل متمثل في ام كلثوم الذي مثلها بالبلبلة وصوتها العذب الجميل وهي قادرة على الغناء بقافية ووزن، ونلاحظ الشاعر الزهاوي تمثيل ام كلثوم في اجمل الصور ويحاول الشاعر إقناع المتلقي بهذا الشيء الذي لاتقل عن قوة الشاهد .

---

[١]ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، ص:١٥٩
[٢]سورة النجم، ٣ - ٤
[٣]الديوان، ٢٠٣
[٤]سورة نوح، ٥
[٥]الديوان : ٦١٥

٣-المقارنة: وهي تقنية حجاجية إنها "عملية تجريبية منشدّة إلى عملية بناء الواقع خاصة وأن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية؛ بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المحتج"[١]وقد تحدث الزهاوي "بحر البسيط"

ايــن القصــيد التــي ابياتهــا خــزف* مــن القصــيد التــي ابياتهــا درر[٢]

نلاحظ الشاعر فقد رتب طرفي المقارنة ويبين حالة عدم الافتخار في شعرة وكذلك بين حالة قصيدته من الدرة والبقية من الخزف، وهذه المقارنة تعطي قيمة حجاجية عالية للنص الشعري.

٤-التناسب: وتظهر تقنية التناسب الحجاجية في كونه يتألف في بنيته العميقة من أربع أطراف، فيقول الزهاوي في قصيدة "اخذ الميت إلي الجنة ليزداد هماً من الحرمان اياها ثم وصف شامل لها. "بحر الخفيف"

فطعــــام للآكلــــين لذيــــذ* وشــــراب للشــــاربين طهــــور
ســـمك مقلـــي وطيـــر مشـــوي* ولذيـــذ مـــن الشـــواء الطيـــور[٣]

نجد هناك حالة من التناسب والشاعر يصور الجنة للناس بأن يكون طعامها لذيذ وشرابها كذلك يكون طاهر وشرط التناسب " التأليف بين علاقتين وتتحقق كل علاقة بين شيئين منتميين إلى جنس غير جنس الطرف المقابل ؛ أي أن الموضوع والشبيه ينتميان لجنسين مختلفين"[٤]

[١]الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي،،ص:٢٤٨
[٢]الديوان، ٥٥٥
[٣]الديوان، ٧٢٧
[٤]الاستعارة في محطات يونانية وغربية وعربية، محمد الولي، ٤٣٢

الخاتمة

يتسم شعر الزهاوي بكثير من أشكال الحجاج، وهذه الأشكال تتفرع إلى تقنيات، منها حجج شبه منطقية، واتضح لنا أنَّ الشاعر يستثمر حججاً ويوظفها في شعره؛ وأنه يمكن استنباط هذه الحجج التي تؤدي وظيفةً حجاجيةً في القول الشعري، وتوجه نحو النتيجة التي يبتغيها الشاعر، بأفكاره، والتأثير عليه، وقد رصدنا في ديوان الزهاوي كثيراً من الحجج الذي تتسم بالقوة والضعف ؛ وذلك حسب السياق الذي ترد فيه، وتتصف هذه الحجج شبه المنطقية بمبدأ منطقي؛ كالتطابق أو التعدية أو التناقض نقيض التناسب، والحجج مبنية على بنية الواقع وهذه الحجج توضيح الواقع والأحداث، فعندما يقوم المتكلم بتفسير أحداث أو وقائع، تبدو أكثر إقناعاً ويكون خطابهُ الشعري أقدر على التأثير في المتلقي، وتضم هذه الحجج وحدة الاتصال والتتابع للأحداث، و حجة التعايش هي علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله حجة التعايش، وعادة الشاعر يستدعي كثيراً من هذه الحجج، بهدف جَعْل خطابهِ الشعري مؤثراً ومقنعاً، ويؤدي دور جمالي. ومن أهم النتائج التي توصل لها الباحث:

١- يتصف ديوان الزهاوي بكثير من التقنيات التي تفيد وظيفةٌ حجاجيةٌ إقناعيةٌ، تقوم بعملية التواصل في النص الشعري.

٢- استدعاء الشاعر في شعره كثيراً من آليات الحجاج بهدف جعل خطابه الشعري مؤثراً ومقنعاً؛ لأنَّ تلك الآليات تكسب قوة حجاجية عالية من الإقناع والتأثير، دون إنكار دورها الجمالي .

٣- النسبية في القوة الحجاجية للحجج من حيث القوة والضعف ؛ وذلك حسب السياق الذي ترد فيه.

٤- يستخدم الشاعر الاقتباس ليقوي به شعره من القرآن الكريم والأحاديث، أو أشعار العرب القدامى، وكان استخدامه يعطي قيمة حجاجية عالية.

٥- يتصف اسلوب الشاعر سهل بسيط يستخدم بعض الألفاظ العامية لسهولتها للمتلقي.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم ، ط١٦، ٢٠٠٥م.٢

٢- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد المولى، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٥م.

٤- أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق محمود شاكر أبو فهد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١م.

٥- بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر أبن الرومي نموذجاً، إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م،

٦- تفسير الإمامين الجليلين للقران الكريم، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب الجزائر، ١٩٧٠م.

٧-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، كتب هوامشه وضبطه حسين إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، لبنان، الجزء الاول، ٢٠٠٦م،

٨- الحجاج أطره و منطلقاته، عبد الله صوله، دار الفارابي، منشورات كلية الآداب بتونس، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٩- الحجاج في الشعر ا القديم إلى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠- خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عباس حشاني، ، عالم الكتب الحديثة، الاردن، ط١، ٢٠١٤م

١١- الخطابة، أرسطو طاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنا، ١٩٧٩م.

١٢- ديوان الزهاوي، ، عبد الرزاق الهلالي، مطبعة دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م.

١٣- الزهاوي، ماهر حسن فهمي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٤م.

١٤- لزهاوي دراسات ونصوص، عبد الحميد الرشودي، ثائر جعفر للطباعة الفنية الحديثة، بيروت، ج١، ٢٠١٢م.

١٥- الزهاوي وديوانه المفقود، هلال ناجي، دار العرب البستاني، مطبعة نهظة مصر، ط١، ١٩٩٩م.

١٦- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد الهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، باب الحاء، المجلد الاول، ٢٠٠٣م

١٧- لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٠م، مادة حجج، مجلد الثاني.

١٨- اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الاولى ١٩٩٨م.

١٩- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٠- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة المشكاة الإسلامية، ج١، ١٩٥٥م.

٢١- المصطلح الفلسفي عند العرب، عبد الأمير الاعسم، ، منشورات مكتبة الفكر العربي، بغداد، ط١، ١٩٨٥م.

٢٢- معجم المؤلفين تراجم مصطفى الكتب العربية، عمر رضا ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٣- مفاهيم بلاغية، محمد الولي، مجلة علامات، العدد ١٧،

٢٤- نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د- الحسن بنو هاشم، ، الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠١٤م

٢٥- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥ م

٢٦- نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة، شكري المبخوت، مجلة العاصمة مجلة بحثية سنوية محكمة، كلية الجامعة كيرالا، الهند،، مجلد٩، ٢٠١٧م.

٢٧- ينظر موسوعة و يكلييديا في قسمها العربي، :أيوب المرين : www.okham.net\frum\archive\index.php?

٢٨- VOir :le grand Robert :Dictionnaire de langue francaise .1,paris,1989,